



أسرار الجملة الاستئنافية في النص القرآني - قراءة في تجليات وجماليات القصة القرآنية في سورة البقرة أنموذجاً - *The Secrets of the Resumptive Sentence in the Qur'anic Text: An Analysis of Its Manifestations and Aesthetics in the Qur'anic Narrative – A Case Study of Surah Al. Baqarah*

محمد بشير باي

مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية وسبل تقويمها
جامعة الجزائر 1 (الجزائر)
m.bachirbey@univ.alger.dz

رمضان غالم*

مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية وسبل تقويمها
جامعة الجزائر 1 (الجزائر)
r.ghalem@univ.alger.dz

تاريخ النشر: 2025-07-15

تاريخ القبول: 2025-04-12

تاريخ الاستلام: 2024-12-12

ملخص:

تشكّل الجملة الاستئنافية في النصّ القرآني محورًا رئيسًا خاصّة في القصص القرآني، ومن خلال هذا المقال سأوضح الجملة الاستئنافية عند علماء النحو والبلاغة، ثمّ بعضًا من صور الجملة الاستئنافية في القصة القرآنية على ضوء سورة البقرة، مسقطًا هذا الكلام على مقاطع من القصص الموجودة في هذه السورة الكريمة، وموضحًا ومبيّنًا ما فيها من جماليّة وأسرار نحوية وبلاغية تميّز بها النصّ القرآني في جملته عامّة والقصة القرآنية على وجه الخصوص. كما سأبين بعضًا من تلك الأسرار في نماذج من القصة القرآنية التي سأورد بعضًا منها في سورة البقرة.

الكلمات المفتاحية: الجملة؛ الاستئناف؛ أسرار؛ النصّ القرآني؛ القصة القرآنية.

Abstract:

The resumptive sentence (al-jumlah al-isti'nafiyah) occupies a pivotal role in the Qur'anic text, particularly within the Qur'anic narrative. This study aims to elucidate the concept of the resumptive sentence as discussed by scholars of Arabic grammar (nahw) and rhetoric (balaghah). It further examines various instances of the resumptive sentence in the Qur'anic narrative, focusing specifically on the case study of Surah Al-Baqarah.

Through an analytical lens, this article explores sections of the Qur'anic stories presented in this surah, highlighting their unique aesthetic and rhetorical qualities. It aims to uncover the grammatical and rhetorical secrets that distinguish the Qur'anic text in general, and its narrative style in particular. The study also sheds light on the subtleties of the resumptive sentence through selected examples from the narratives in Surah Al-Baqarah, revealing the profound depth and beauty of the Qur'anic discourse.

Keywords: Resumptive sentence; secrets; Qur'anic text; Qur'anic narrative; Sureah Al-Baqarah.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

يعدُّ اللسان العربي أشرف الألسنة وأعرقها، وهو لغة مقدّسة بقداسة كتاب الله تعالى فهو يستدعي منَّا الغوص في أعماقه باعتباره اللسان الذي أنزل به النَّصِّ القرآني الكريم، كما يحتوي في طيّاته على الكثير من المسائل النَّحويَّة والبلاغيَّة الشَّيْقة التي تستحقُّ الإطّلاع الواسع والبحث الكافي، ولا شكَّ أنَّ الجملة الاستئنافية تنوّعت في النَّصِّ القرآني تنوعًا بيّنًا، فقد اعتنى الدّارسون لبلاغتها لما فيها من الجماليَّة البلاغيَّة، والدّلالة المعنويَّة والأسرار التركيبيَّة.

1.1. مشكلة البحث:

ما هي الجملة الاستئنافية؟ ما أسرارها وجماليّاتها في القصَّة القرآنيَّة؟ وما سرُّها في سياقات القصص القرآني من خلال سورة البقرة؟

2.1. فرضيات البحث:

- في النَّصِّ القرآني جملاً استئنافية

- جماليَّة الجملة الاستئنافية وسرُّها في القصص القرآني

3.1. أهداف البحث:

- بيان أقوال العلماء في توضيحهم لتعريف الجملة الاستئنافية.

- بيان بلاغة الجملة الاستئنافية وأسرارها في القصص القرآني

4.1. منهج البحث:

يعالج هذا البحث مادّته بواسطة المنهج الوصفي والتّحليلي لبعض القصص القرآني في سورة البقرة.

5.1. الدّراسات السّابقة:

وإذا تحدّثت عن الدّراسات السّابقة حول (أسرار الجملة الاستئنافية في النَّصِّ القرآني. قراءة في تجلّيات القصَّة القرآنيَّة، آيات من قصص سورة البقرة نموذجاً.)، فثمّة عدّة دراسات منها: المباشرة: "من أسرار الجملة الاستئنافية. دراسة لغويَّة قرآنيَّة. للدكتور: أيمن الشّوا."

الفرق بين هذه الدّراسات وما تمّ تناوله في هذا المقال هو تحديد سرّ الجملة الاستئنافية وكيف فاقت بلاغتها القصَّة الأدبيَّة، وكذلك تحديد سرّ جماليّتها في القرآن المجيد .

6.1. خطة البحث:

1. تحديد المفاهيم (الجملة الاستئنافية والقصَّة القرآنيَّة لغةً واصطلاحاً)

1.1. تعريف الجملة لغة

2.1. تعريف الجملة الاستئنافية

2. تعريف القصَّة القرآنيَّة ومقاصدها وبيان القصص في سورة البقرة

1.2. بيان القصص الموجودة في سورة البقرة

3. الجمال الفني للجملة وسرّها البلاغي في القصص القرآني (نماذج من قصص سورة البقرة)
3. 1. الجمال الفني للجملة الاستثنائية وسرّها في (قصة آدم وإبليس وقصة أصحاب السّبب وقصة البقرة)
3. 2. الجمال الفني للجملة الاستثنائية وسرّها في (قصة هاروت وماروت وقصة طالوت وجالوت)
4. الخاتمة.

2. تحديد المفاهيم (الجملة الاستثنائية والقصة القرآنية)

1.2. تعريف الجملة:

عند البحث عن تعريف الجملة يجد القارئ نفسه داخل مجموعة من المفاهيم وتراكبات من الآراء المتنوعة ومن هنا يعسر علينا تحديد مفهوم جامع للجملة، ولعلّ هذا التّضارب والبون في الآراء سندسعى على إثارة بعض التعريفات ونحرص على المفهوم القرآني:

أ): الجملة في القواميس اللغوية: قال ابن منظور (ت711هـ): (والجُمْلَةُ: وَاحِدَةُ الْجُمْلِ. وَالْجُمْلَةُ: جَمَاعَةٌ الشَّيْءِ. وَأَجْمَلَ الشَّيْءَ: جَمَعَهُ عَنْ تَفْرِيقِهِ، وَأَجْمَلَ لَهُ الْجِسَابَ كَذَلِكَ. وَالْجُمْلَةُ: جَمَاعَةٌ كُلِّ شَيْءٍ...)⁽¹⁾.

ب): الجملة في المفهوم القرآني: قد ذكر لفظ (جملة) مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً) الفرقان-32

اصطلاحًا: تعددت مفاهيم الجملة في التراث اللغوي وذلك للمزج بين مصطلحي (الكلام والجملة) عند أرباب النحو القدامى والمحدثين، وسنذكر مفهوم الجملة عند ابن جني (392هـ) باعتباره أنّه أعطى حدًا جامعًا مانعًا لمفهومها:

يقول ابن جني (392هـ): (أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويين الجمل، ... فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام.)⁽²⁾.

2.2. تعريف الجملة الاستثنائية:

أ): الاستئناف لغة: يقول ابن فارس (ت395هـ): «أَنْفَ الهَمْزَةُ وَالنُّونُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ مِنْهُمَا يَتَفَرَّعُ مَسَائِلُ الْبَابِ كُلِّهَا: أَحَدُهُمَا أَخَذُ الشَّيْءِ مِنْ أَوْلِهِ، وَالثَّانِي أَنْفُ كُلِّ ذِي أَنْفٍ. وَقِيَاسُهُ التَّحْدِيدُ. فَأَمَّا الْأَصْلُ الْأَوَّلُ فَقَالَ الْخَلِيلُ: اسْتَأْنَفْتُ كَذَا، أَي رَجَعْتُ إِلَى أَوْلِهِ، وَاسْتَأْنَفْتُ اسْتِئْذَافًا. وَمُؤْتَنَفُ الْأَمْرِ: مَا يُبْتَدَأُ فِيهِ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: فَعَلَّ كَذَا أَنْفًا، كَأَنَّهُ ابْتِدَاؤُهُ.»⁽³⁾

(1) ابن منظور المصري، لسان العرب، ج1، ص686. مادة: (ج، م، ل).

(2) ابن جني، الخصائص، ج1، ص18، 19.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص146.

(ب): تعريف الجملة الاستئنافية اصطلاحاً:

الجملة الاستئنافية: هي جملة تأتي في ثنايا الكلام لاستئناف ضرب جديد، تُعدّ جملةً تامّةً أو كلام تام، منقطعة عنه صناعياً لا محلّ لها من الإعراب.⁽¹⁾

أي أنّها تكون ضمن التركيب المحبك المستوفي للدلالة والمحقّق للغرض والفائدة، فلا انسجام لفظي بينها وبين البنية السابقة لها، ولكن من حيث الدلالة تتحدّد روابط الوحدات الدلالية فالانقطاع هو انقطاع إعرابي لا معنوي والمراد به: "عدم التعلّق باتباع أو إخبار أو نعت أو حال، فقولك: (مَاتَ فَلَأَنَّ رَحِمَهُ اللَّهُ) فجملة "رحمه الله" مستأنفة على الرّغم من ارتباطها بما قبلها في المعنى"⁽²⁾

من خلال هذه التعريفات التي سقمتها يتّضح لنا أنّ الجملة الاستئنافية هي التّعبير الذي يأتي أثناء الكلام ليبدّل على غرض جديد. ولا ترابط بين الجملة المستأنفة والجملة السابقة من حيث الإعراب، لكن من جهة الدلالة لا بدّ من ترابط لاكتمال النّسيج التركيبي.

3. تعريف القصة القرآنية

تعتبر القصة في النصّ القرآني ركيزةً متينةً من ركائز الدّعوة في الدّين الإسلامي القائمة على الإقناع الفكري والعقلي والاطمئنان النّفسي والقلبي، بما تدعو إليه من الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وهي من أسمى وأحسن وأجود القصص، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾ [يوسف 3-]. وإنّ القرآن الكريم لغنيٌّ بألوان من قصص الرّسل والصّالحين السّابقين، فروى تضحياتهم في الدّعوة إلى الرّب -جلا وعلا- وأعطى صوراً فيما تلقّوه من إبداء في سبيل الله. والقصة القرآنية عنصر جليل من عناصر القرآن الكريم، وهي من أجلّ وأمتع المواضيع فقد اهتمّ بها القرآن اهتماماً بارزاً، لما فيها من تشويق وجوانب العبر والاتّعاظ والاعتبار. وقبل أن نتناول هذا العنصر يجب تحديد مفهوم القصة لغةً واصطلاحاً، ذلك أنّ معرفة السّبيء فرع عن تصوّره .

أ: تعريف القصة لغةً: يقول الأصفهاني (ت502هـ): " قصصٌ: القصّ تتبّع الأثر يُقال قصصتُ أثره والقصصُ الأثرُ قال: (فَارْتَدًّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا – وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ قُصِّيه) (...)."⁽³⁾

3.1. القصة في الاصطلاح:

في الأدب: هي الحكاية عن نبأ حصل في زمن خلا وانقضى لا يخلو من بعض عبره مع شيء من الإطناب في الأداء.⁽⁴⁾

في اصطلاح الشّرع: هي إنباء من النصّ القرآني أو السنّة النبويّة الشّريفة عن أحداث حقيقيّة واقعيّة بعيدة عن عنصر الخيال في الرّمن الماضي المغيب، أو الحاضر المشهود العياني أو خلافه، والمستقبل بإطلاق

(1) ينظر: سكر خلف الشّعباني، الجملة الاستئنافية في القرآن الكريم، ص 48.

(2) فتحي عبد الفتاح الدجني، الجملة النحويّة نشأة وتطورا وإعرابا، ص 97.

(3) الراغب الاصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 404.

(4) ينظر: د/صونية وافق، دروس في التفسير الموضوعي، القصة القرآنية، ج 3، ص 7.

يحتوي العبر التي تخدم غرض الدين الإسلامي. وتسمى القصة القرآنية أو القصة الحديثية بحسب مصدر النص الشرعي لها. (1)

مفهوم القصة في القرآن: للقصة في القرآن تعريفاً يُحدده ما جاء من أنباء خاصة سيقت على وجه العبرة للمؤمنين والمصدّقين بها، والرّجوع والردع للمكذّبين، فهي ترشد وتوجّه الأوّلين إلى الثّبات على الحقّ والاستزادة من صنائع البرّ والخير...، كما تصرف المتبرّي من المكذّبين عن الباطل والشّرك والشّر بأنواعه... (2)

فـ " قصص القرآن " : إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنّبوات السّابقة والحوادث الواقعة - وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كلّ قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه. (3)

4. أغراض وأهداف القصة القرآنية

سيقت القصة القرآنية لمقاصد عديدة يجمعها مقصد واحد وهو الغاية العامّة من القرآن كلّها ألا وهو الهداية. فلقد جاءت القصة القرآنية لخدمة المقصد الدينيّ عمومًا من إثبات التّوحيد وتثبيت قلوب أهل الإيمان والبرهان على القدرة الربّانية وتربية المسلم وتثبيت عقيدته وتقويتها. وإن تعدّدت هذه المقاصد فنذكر جملةً منها على سبيل المثال لا الحصر:

1.4. إثبات الوحي والرّسالة:

ذلك أنّ النبيّ ﷺ لم يكن يقرأ ولا يكتب ولا يستمع إلى أخبار اليهود والنّصارى، فمجيء القرآن المجيد بقصص بعض الرّسل والأنبياء كإبراهيم وموسى ويوسف وعيسى -عليهم السلام- بإطناب ودقّة متناهيين برهان على أنّ القرآن المجيد وحي يوحى إلى المصطفى ﷺ من عند الله - سبحانه وتعالى-، من ذلك قوله تعالى في أوّل سورة يوسف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ [يوسف: 3.2]. (4)

2.4. وحدة المصدر:

"جاء القصص القرآني ليثبت أن مصدر هذا الوحي واحد وأنّ الجهة المرسله واحدة وأنّ الرّسل إخوة منذ عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمّد ﷺ" (5)

3.4. بيان وحدة العقيدة (التّوحيد):

"بمعنى أنّ كلّ الرّسل دعوا إلى نفس العقيدة ألا وهي عقيدة التّوحيد" (6)

(1) ينظر: المرجع السابق، ص8.

(2) ينظر: عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القراء، ص44.

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القراء، ص300.

(4) ينظر: صونية وافق، دروس في التفسير الموضوعي * القصة القرآنية، مرجع سابق، ج3، ص39.

(5) المرجع السابق، ج3، ص41-42.

(6) المرجع نفسه، ج3، ص44.

4.4. إثبات أن وعد الله ووعيده حق:

"كتبشير إبراهيم بالولد الذي تحقق بعد ذلك يقول تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: 71]"⁽¹⁾

4.5. بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة:

كان من مقاصد القصص القرآنية إظهار أن وسائل الأنبياء في الدعوة متحدة وموحدة وأن استقبال قومهم لهم متماثل، فضلا عن أن الدين من عند معبود واحد وهو الربُّ -جلا وعلا-، وأنه قائم على مصدر واحد.⁽²⁾

4.6. بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذِّبين:

وكان من مقاصد القصص بيان أن الربَّ سبحانه ينصر أنبياءه في النهاية، وذلك تثبيتاً وترسيخاً للعقيدة في القلوب والأفئدة، وتبعاً لهذا المقصد نجد أن قصص الأنبياء ترد مجتمعةً، مختومةً بمصارع من يقومون بالافتراء عليهم وتكذيبهم كما جاء في سورة "العنكبوت"، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14] وهذا في مستوى الإيجاز المتضمن بداية القصص بالرسالة وخاتمتها بالجزاء والعقاب لقومه الكفار.⁽³⁾

5. بيان القصص الموجودة في سورة البقرة ومناسبتها

لم تعتمد الرسالة القرآنية أسلوباً واحداً لإيصالها إلى الإنسانية، بل تعددت أساليبها وتنوعت، فهي حيناً تعتمد أسلوب الحوار، وحيناً آخر تعتمد أسلوب ضرب المثل، وتارة تعتمد أسلوب التريية النفسية، وأسلوب القصص من الأساليب التي اهتم القرآن الكريم بها اهتماماً بالغاً؛ فيرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، فهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدّد مساق القصص؛ وسورة البقرة من السور التي حفلت بأنواع القصص ونسب الضوء على بعض منها من خلال مناسبة آياتها: ذكر صاحب صفوة التفاسير بعض المناسبات في القصص الواردة في سورة البقرة وهي كالاتي:

1- قصة آدم عليه السلام:

من الآية 29 إلى الآية 39، المناسبة: (لما امتنَّ تعالى على العباد بنعمة الخلق والإيجاد وأنه سخَّر لهم ما في الأرض جميعاً، وأخرجهم من العدم إلى الوجود، أتبع ذلك بدء خلقهم، وامتنَّ عليهم بتشريف أبيهم وتكريمه، يجعله خليفةً، وإسكانه دار الكرامة، وإسجاد الملائكة تعظيماً لشأنه،).⁽⁴⁾

2. قصة بني إسرائيل:

من الآية 40 إلى الآية 74، المناسبة: (إنَّ الله تعالى لما دعا البشر إلى عبادته وتوحيده، وأقام للناس الحجج الواضحة على وحدانيته ووجوده، ثمَّ ذكَّره بما أنعم به على أبيهم آدم عليه السلام، دعا بني إسرائيل خصوصاً -

(1) المرجع السابق، ج3، ص51.

(2) ينظر: محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصص القرآنية، ص148-149.

(3) ينظر: محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصص القرآنية، ص150-151.

(4) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص47-50.

وهم اليهود - إلى الإيمان بخاتم الرُّسل وتصديقه فيما جاء به عن الله، لأنَّهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة،⁽¹⁾.

3 - قصَّة إبراهيم ﷺ:

من الآية 124 إلى الآية 141، المناسبة: (بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السَّابقة نعمه على بني إسرائيل، وبَيَّن كيف كانوا يقابلون النِّعم بالكفر والعناد، ويأتون منكرات في الأقوال والأعمال، وصل حديثهم بقصَّة إبراهيم أبي الأنبياء الذي يزعم اليهود والنَّصارى انتماءهم إليه ويُقرُّون بفضله، ولو كانوا صادقين لوجب عليهم اتِّباع هذا النَّبيِّ الكريم «محمَّد» ﷺ ودخولهم في دينه القويم لأنَّه أثار دعوة إبراهيم الخليل حين دعا لأهل الحرم).⁽²⁾

4 - قصَّة طالوت وجالوت:

من الآية 243 إلى الآية 251، المناسبة: (لمَّا ذكر تعالى أحكام الأسرة بالتَّفصيل والنُّظم التي تربط بين أفرادها،... ولا بقاء لها ولا خلود إلا ببقاء الحقِّ وأنصاره، ولهذا أمر تعالى بالقتال وضرب عليه الأمثال بالأمم السَّابقة، كيف جاهدت في سبيل الحقِّ وانتصرت القلَّة مع إيمانها على الكثرة مع كفرها وطغيانها، فليست العبرة بكثرة أنصار الباطل بل بصمود أهل الحقِّ والتزامهم له وجهادهم في سبيله).⁽³⁾

5 - قصَّة إبراهيم والملك، وقصَّة عُزير وقصَّة إبراهيم والطير:

من الآية 258 إلى الآية 260، المناسبة: (ذكر هنا نموذجاً عن تحكُّم الطُّغيان في نفوس الكفرة المعاندين ومجادلتهم في وحدانيَّة الله، فذكر هاهنا قصصاً ثلاثة: الأولى في بيان إثبات الخالق الحكيم والثانية والثالثة في إثبات الحشر، والبعث بعد الفناء).⁽⁴⁾

6. الجمال الفني للجملة الاستثنائية وسرُّها البلاغي في القصص القرآني (نماذج من قصص سورة البقرة)

إنَّ الهدف من البلاغة تحسين الكلام وأدائه على الوجه الصَّحيح، فهي تتَّصل بالقرآن أيما اتَّصال، وذلك من خلال السِّياق فتتَّبع أساليبه وتُنحو مَنحاه، والقصص القرآني من الأساليب التي اعتنى بها القرآن الكريم، فجاءت القصَّة القرآنيَّة بأبعادها البلاغيَّة تراعي المطابقة المقاميَّة، وإذا ما نظرنا إلى ما ذكر سابقاً في أسلوب القصَّة ومقاصدها وأسرارها في وجهها الدَّلالي والمعنوي فنلحظ أنَّ القصَّة القرآنيَّة لم ترد على الحشو وإنَّما هي عنصر ألمعي في سبيل الآيات الكريمت لاقترانها بالوجوه البلاغيَّة والنَّحويَّة خاصَّة ما ذكرناه عن الجملة

(1) المرجع السابق، ج 1، ص 52-65.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 90-95.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 150.

(4) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 159.

الاستئنافية، وهنا سنعطي صوراً لأسرار الجملة الاستئنافية وجمالياتها في نظم القصص القرآني على ضوء سورة البقرة.

1.6. الجمال الفني للجملة الاستئنافية وسرّها في (قصة آدم وإبليس وقصة أصحاب السبب وقصة

البقرة)

إنّ الدرس النحوي للجملة يُنظر إليه وفق الوجهة الإعرابية والبنية العامليّة. وقياس مدى التلازم بين الوحدات التركيبية المؤسسة للنظام العام لنظم الجملة، وتجعلها مصنّفة بحسب رتبها التي تحتلّها، ومع هذا كانت نظرة النحويين نظرةً لا تتعدّى إظهارها الشكلي إلى الجانب الدلالي، لذا عُيّنت الجملة الاستئنافية في بادئ الأمر بفكرة الانقطاع عن الجملة الأولى فلا يكون الاستئناف إلا انفصلاً وانتقالاً من جملة إلى جملة أخرى، فقد يظهر الترابط فيما بينها فتبرز صلتهما بما قبلها، وقد يكون الكلام خالياً من عمليّة الرّبط لأغراض ينحو إليها المتكلّم. أمّا الوجهة البلاغيّة تنحو منحاً آخر، فتوقّفت صيغ كلامهم على أسس دلاليّة معنويّة تظهر ارتباطها بما يدور قبلها، مؤكّدة أنّ عدم اتّصالها الإعرابي لا يعني بالضرورة انقطاعها البياني، وما من استئناف إلا وله معنى داخل مكونات النصّ وأنساقه. وهنا سنبيّن تمثّلات الجماليّة الفنيّة للجملة الاستئنافية في سورة البقرة وسرّها البلاغي والنحوي.

2.6. تمثّلات الجماليّة الفنيّة وسرّ الجملة الاستئنافية في قصة آدم وإبليس:

إنّ القصص القرآني بوصفه أعظم المصادر وأوثقها في أيدي العرب لمنهج متميّز في قصص القصص باللّغة العربيّة، تكفي للكشف عن الفارق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللّغات الأخرى من الأساطير والزّوايات والمسرحيات، بلغ هذا الفارق حدّ ما بين الجدّ والهزل وما بين الحقّ والكذب، فالفارق شاسع وفي جميع المجالات والمقاصد والأغراض، وهذه القصّة (قصة آدم وإبليس) تعطي لنا نموذج عن جماليّة الجملة الاستئنافية وسرّها البلاغي.

الآية التاسعة والعشرون ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً، لا محلّ لها من الإعراب وأن يكون معطوفاً على ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾ أي في محلّ جرّ بالإضافة ل﴿إِذْ﴾⁽¹⁾ إنّ من جماليّة التّناسق القرآني تناسق ألفاظه ودقّة تركيبه، وهذه الآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ تعطي صورة فنيّة لمحور القصّة، فالجملة القرآنيّة جملة استئنافية جعلت من المعنى مستقلاً عمّا قبله من جهة الإعراب، أمّا بلاغيّاً فهناك ترابط بياني يكمل في بلورة البناء التركيبي في النّسق القرآني.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى..﴾ البقرة -34-

(أبى) جملة مستأنفة كأنّه جواب قائل قال: لم لم يسجد؟ فجاء قوله (أبى) أي: أظهر الإباء وتوقّف.⁽²⁾

(1) أيمن عبد الرزاق الشوا، الجملة الاستئنافية دراسة لغوية قرآنية، ص 61

(2) المرجع السابق، ص 61.

فالمتمعّن في هذه الآيات القرآنيّة يجد من حلاوة في السّمع ودقّة في النّظم وروعة في الرّصف والسّبك، ولمّا كانت الجُمْل القرآنيّة من ضمن الإعجاز القرآني دلاليّاً وبلاغياً فنلحظ في هذا النّص والآية من جماليّة فنيّة تكمل في التّحول الحاصل في سياق القصّة القرآنيّة ذلك لما أحدثته الجملة المستأنفة (أبى) من توطيد العلاقة المعنويّة بين الآيتين.

الآية السّادسة والثلاثون ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ قال المعربون: يجوز أن يكون مستأنفاً، ويجوز أن يكون حالاً⁽¹⁾.

جاءت هذه الآية في سياق مقول القول ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، فاستأنفت القصّة القرآنيّة بشبه الجملة مع واو الاستئناف " ولكم في الأرض "، فنلحظ كيفيّة مجيء الجملة المستأنفة بعد مقول القول جعل منها صورةً كاملةً دلاليّاً، أمّا من حيث الإعراب فنلمح عدميّة وجود أثرها الإعرابي (ليس لها محلّ من الإعراب).

الآية القرآنيّة الثّانية: ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة-37- فالجملة الاستئنافية ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ مؤكّدة بأربع تأكيدات⁽²⁾. يقول الزركشي (ت794هـ): (الترغيب كقوله: ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ أَكَّدَهُ بِأَرْبَعِ تَأْكِدَاتٍ وَهِيَ إِنَّ وَضَمِيرُ الْفَصْلِ وَالْمُبَالَغَاتِ مَعَ الصِّفَتَيْنِ لَهُ لِيَدُلَّ عَلَى تَرْغِيبِ اللَّهِ الْعَبْدَ فِي التَّوْبَةِ فَإِنَّهُ إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ طَمَعَ فِي عَفْوِهِ وَقَوْلِهِ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾).⁽³⁾

فالجملة الاستئنافية إذا وقعت موقعها المناسب من السّياق، فإنّها تكون من مقتضيات النّظم ومن متطلّبات المقام، لأنّها تقع بياناً لمفهوم كلام جديد الذي وقعت فيه ومقرّرة له في نفوس السّامعين .

3.6. تمثّلات الجماليّة الفنيّة وسر الجملة الاستئنافية في قصّة بني إسرائيل:

إنّ قصّة بني إسرائيل من أجمل القصص التي عني بها القرآن الكريم، لأنّها تشكل جزءاً من الرّسالة الدّعويّة هذا من حيث مقصدها العام، ولا جرّم أنّ قصّة بني إسرائيل نجد فيها دلالات تركيبية ذات أبعاد فنيّة، لهذا عدتّ الجملة الاستئنافية كنوع جمالي في هذه القصّة وسنوضّح أبعادها وأسرارها في سياقات النّص القرآني.

. الآية الثّالثة والسّبعون ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ﴾ جملة ﴿ وَيُرِيكُمْ

آيَاتِهِ ﴾ يجوز فيها أكثر من موقع إعرابي على هذا التّحو:

أ- جملة معطوفة على ما قبلها في محلّ نصب حال مثل ﴿ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾

(1) السّمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج1، ص291.

(2) ينظر حاشية الصاوي، ج5، ص246/245.

(3) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص389.

ب- جملة مستأنفة – الواو استثنائية – ويرجّح الألوسي كونها معطوفة بقوله: والظاهر أنّ الآيات جمع في اللفظ والمعنى، والمراد بها الدلائل الدالة على أنّ الله على كلّ شيء قدير⁽¹⁾.

* ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ الآية 70-

نلاحظ أنّ هذه القطعة من الآية هي جزء من الحوار الذي دار بين موسى وبني إسرائيل في قضية ذبح البقرة ومماطلتهم في ذبحها شقوا على أنفسهم فعاملهم الله بالمثل فجاء الاستئناف البياني ﴿إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ والغرض من هذا الاستئناف أنّه وقع في هذا الموطن من الآية للاعتذار وهو من باب التعليل لتصرفهم قائلاً: ﴿إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ إعتذار عن إعادة السؤال⁽²⁾.

فجملة ﴿تَشَابَهَ﴾ جملة صغرى وقعت خبر لاسم "إِنَّ" (الْبَقْرَةَ) والجملة ﴿إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ مستأنفة بيانياً⁽³⁾

4.6. تمثيلات الجمالية الفنية وسرّ الجملة الاستثنائية في قصّة طالوت وجالوت:

جاءت قصة طالوت وجالوت في ثنايا قصّة سورة البقرة، وتحمل في طياتها مقاصد إيمانية وأخرى متعلّقة بالجانب البياني؛ فالمتأمل في سياق القصّة يجد تنوعاً بيانياً وجمالياً في التّركيب القرآني ومن ضمن هذا التّنوع البياني والجمالي الجملة الاستثنائية في هذه القصّة اللطيفة.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ البقرة. 248.. جملة استثنائية يقول الطاهر بن عاشور: "جملة رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا من تمام كلامهم، وهي انتقال من خطابهم فرعون إلى التّوجه إلى دعاء الله تعالى، ولذلك فصلت عن الجملة التي قبلها. ومعنى قوله: رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً اجعل لنا طاقة لتحمل ما توعدنا به فرعون. ولما كان ذلك الوعيد ممّا لا تطيقه النفوس سألوا الله أن يجعل لنفوسهم صبراً قوياً، يفوق المتعارف، فشبهه الصبر بماء تشبيه المعقول بالمحسوس، على طريقة الاستعارة المكنية⁽⁴⁾.

إنّ دقّة التّركيب القرآني يجعل المرء يقف على سرّه الإعجازي وسحر بيانه، وهذه الآية الكريمة حدّدت لنا معالم أسرارها فجملة • ﴿قَالُوا رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ جملة استثنائية بيانية جعلت من النّظم القرآني قوّة في التّركيب وإيضاحاً في الدلالة والمعاني، كما أنّها أضفت طابعاً جمالياً في السّياق القرآني وذلك أنّه شبه الصبر بماء تشبيه المعقول بالمحسوس، على طريقة الاستعارة المكنية⁽⁵⁾، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ البقرة 243

(1) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 1، ص 294.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1 ص 554

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 554.

(4) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 56

(5) المصدر نفسه ج 2، ص 56.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ البقرة 243 قال الطاهر بن عاشور: " استئناف ابتدائي للتَّحْرِيزِ عَلَى الْجِهَادِ وَالتَّذْكِيرِ بِأَنَّ الْحَذَرَ لَا يُؤَخِّرُ الْأَجَلَ، وَأَنَّ الْجَبَانَ قَدْ يَلْقَى حَتْفَهُ فِي مِظَنَّةِ النَّجَاةِ... " (1).

إنَّ المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد روعة التَّنَاسُقِ الْقُرْآنِيِّ وجودة الاستئناف البلاغي وكيف انتقل النظم القرآني من بيان الأحكام إلى سرد القصَّة القرآنيَّة، بحيث يستشعر القارئ روعة التَّنَاسُقِ، وهذه الجملة في استئنافها تجد لها سحرًا وبيانا في نظمها.

ومن الملاحظ أنَّ القرآن يُعنى بهذا الانسجام عنايةً واضحةً لما في ذلك من تأثير كبير على السَّمْعِ ووقع مؤثِّر في النَّفْسِ، ونوكِّد هنا أنَّ القرآن راعى في كلِّ ذلك ما يقتضيه التَّعبير والمعنى كما لاحظنا ذلك من خلال الآيات، فهذه الجملة الاستئنافية ساهمت في إبراز الغرض الذي خرج لأجله الكلام، كما ساهم كلٌّ من الإيقاع في الفواصل القرآنيَّة وأسلوب القصَّة في متن الآيات القرآنيَّة في إضفاء جماليَّة تُضَاف إلى جماليَّة الجملة الاستئنافية.

7. الخاتمة:

وفي إطار هذا التَّصوير العام للجماليَّة الفنيَّة وسرُّ الجملة الاستئنافية في القَصَصِ الْقُرْآنِيِّ وهذه الجولة البلاغيَّة وعلى ضوء ما سبق أظهرت هذه الدِّراسة التَّنَائِجِ الاتية:

- القصَّة القرآنيَّة أسلوب جوهري من أساليب الدَّعوة فهي تهدف إلى غرض نبيل وهو إصلاح البشر وهداية النَّاسِ إلى ما فيه خير، فقد سبقت القَصَصِ الْقُرْآنِيِّ لأغراض سامية ومقاصد رفيعة تخدم في مجملها قضِيَّة التَّوْحِيدِ وتوصل إليها كإثبات نبوَّة وإثبات البعث والجزاء والقصد هداية النَّاسِ إلى مذهب الحق .
- بيَّنت الدِّراسة البلاغيَّة ثراء سورة البقرة بمباحث الجملة الاستئنافية، فمن خصوصيَّات هذه السُّورة أنَّها أطول سورة كما احتوت ثلَّة من القَصَصِ.
- قامت الدِّراسة بتطبيق الجانب التَّنظيري للجملة الاستئنافية وسرِّها البلاغي على آيات قصص القرآن فتوصَّلنا على أنَّه متنوع الأساليب والألوان ولاسيما الأغراض والمقاصد.
- تظهر وجوه الجملة الاستئنافية وأسرارها في القصَّة القرآنيَّة من خلال موقعها في السِّياق فهي تكشف العلاقات بين النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ.
- كما تقترن الجملة في أكثر أحوالها بفواصل الآيات، فيجتمع فيها ما يجتمع في الفاصلة من مظاهر بلاغيَّة وصوتيَّة .
- فالتَّنَاسُقِ الذي يستشعره القارئ لحروف القرآن ونظامها التَّركيبي، ينتهي إلى جرس مؤثِّر وممتع ولا سيما حين يستقرُّ المعنى عند الأثر العظيم للفواصل القرآنيَّة.

(1) المصدر السابق، ج2، ص485

8. قائمة المراجع:

- ابن جني، عثمان، (د-ت)، الخصائص، (د-ط)، لبنان، دار عالم الكتب.
- ابن فارس، أحمد، مقاييس اللّغة، (1979م)، مصر، دار الفكر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (د-ت)، لسان العرب، ط1، مصر، دار المعارف.
- الألوسي، (د-ت)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبْعِ المثاني، (د-ط)، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
- أيمن عبدالرزاق الشوا، (2009م-1430هـ)، الجملة الاستئنافية دراسة لغويّة قرآنيّة، ط1، سوريا: دار الغوثاني للدراسات القرآنيّة-دمشق.
- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي، (1957م)، البرهان في علوم القرآن، ط1، مصر: دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- د/صونية وافق، (2006م) دروس في التّفسير الموضوعي *القصّة القرآنيّة*، ط1، مصر: دار الفجر للطباعة والنشر.
- الرّاغب الاصفهاني، (1961م) المفردات في غريب القرآن، ط1 تح: محمد سيد كيلاني، بيروت-لبنان دار المعرفة.
- سكر خلف الشعباني، (2002م)، الجملة الاستئنافية في القرآن الكريم، (د-ط)، العراق، جامعة الموصل - كلية الآداب.
- السّمين الحلبي، (د-ت)، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، (د-ط)، سوريا: دار القلم.
- الطاهر بن عاشور، (1984م)، التّحرير والتّنوير، (د-ط)، تونس، الدار التونسية للنّشر.
- عبد الحافظ عبد ربه، (1972م)، بحوث في قصص القرآن (د ط)، بيروت دار الكتاب اللبناني.
- فتحي عبد الفتّاح الدجني، (1987م) الجملة النحويّة نشأة وتطورا وإعرابا، ط:2، الكويت، مكتبة الفلاح.
- محمد علي الصابوني، (د ت)، صفوة التفاسير، ط 10، مصر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمود السيد حسن مصطفى، (1981م)، الإعجاز اللغوي في القصّة القرآنيّة، ط1، مصر: مناشر مؤسسة شباب الجامعة.
- مناع القطان، (د ت)، مباحث في علوم القرآن، ط1، مصر، مكتبة وهبة.

9. Bibliography List

- Abdul Hafiz Abdul Rabb, (1972), *Buhuth fi Qisas Al-Qur'an* (n.d), Beirut, Dar Al-Kitab Al-Lubnani.
- Al-Alussi, (n.d), *Ruh Al-Ma'ani fi Tafsir Al-Qur'an Al-Azim wa Al-Sab' Al-Mathani*, (n.d), Lebanon, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.
- Al-Raghib Al-Isfahani, (1961), *Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an*, 1st ed., edited by Muhammad Said Kilani, Beirut - Lebanon, Dar Al-Ma'rifah.
- Assameen Al-Halabi, (n.d), *Al-Durr Al-Masun fi Ulum Al-Kitab Al-Maknun*, (n.d), Syria: Dar Al-Qalam.
- Ayman Abdulrazak Al-Shawa, (2009-1430), *Al-Jumla Al-Istinafiya: Dirasah Lugawiya Qur'aniya*, 1st ed., Syria: Dar Al-Ghawthani for Qur'anic Studies - Damascus.
- Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur Al-Zarkashi, (1957), *Al-Burhan fi Ulum Al-Qur'an*, 1st ed., Egypt: Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya Iisa Al-Babi Al-Halabi and Partners.
- bn Jinni, Uthman, (n.d), *Al-Khasa'is*, (n.d), Lebanon, Dar Alam Al-Kutub.
- Dr. Sounia Wafiq, (2006), *Duroos fi Al-Tafsir Al-Mawdu'i: Al-Qissah Al-Qur'aniya*, 1st ed., Egypt: Dar Al-Fajr for Printing and Publishing..
- Ettaher ben Achour, (1984), *Al-Tahrir wal-Tanwir*, (n.d), Tunisia, The Tunisian House for Publishing.
- Fathi Abdul Fattah Al-Dajani, (1987), *Al-Jumla Al-Nahawiya: Nash'ah, Tatwir, wa I'raab*, 2nd ed., Kuwait, Maktabat Al-Falah.
- Ibn Faris, Ahmad, *Maqayis Al-Lugha*, (1979), Egypt, Dar Al-Fikr.
- Ibn Manzur, Muhammad ben Makram, (n.d), *Lisan Al-Arab*, 1st ed., Egypt, Dar Al-Ma'arif.
- Mahmoud Al-Sayed Hassan Mustafa, (1981), *Al-I'jaz Al-Lughawi fi Al-Qissah Al-Qur'aniya*, 1st ed., Egypt: Manashir Mu'assasat Shabab Al-Jami'a..

- Man'a Al-Qattan, (n.d), *Mabahith fi Ulum Al-Qur'an*, 1st ed., Egypt, Maktabat Wahbah.
- Muhammad Ali Al-Sabuni, (n.d), *Safwat Al-Tafasir*, 10th ed., Egypt: Dar Al-Sabuni for Printing, Publishing, and Distribution.
- Sukkar Khalaf Al-Sha'abani, (2002), *Al-Jumla Al-Istinafiya fi Al-Qur'an Al-Karim*, (n.d), Iraq, University of Mosul - College of Arts.